يوم القيامة

ما لك وما عليك

جمعه وحققه
الشيخ/ طه عبد الرءوف سعد
من علماء الأزهر الشريف

الناشر
مكتبة العلم الإسلامية
٤ عطفة النشيلي من ش السيد الدواخلي
أمام جامعة الأزهر - بالحسين ت: ٧٨٦٣٢٨٠ - ٠١٢/٤٧٧٢٩٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الإيداع
٧٢٣٦ / ١٩٩٠م

تم تصميم وإخراج هذا الكتاب
بدار السندس للتجهيزات الفنية والكمبيوتر
ت: ٥٨٩٧٥٢٩ - ٠١٢/٢٥٩٢٤٦٧



خطبة الكتاب

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، وأشهد ألا إله إلا الله شهادة تنجينا بها من عذاب القبر يوم الممات، وتثقل بها ربنا لنا يوم القيامة ميزان الحسنات، وترفعنا بها فى الجنة أعلى الدرجات، وتُرِينَا بها سَبَحات نور وجهك الكريم، يا ذا الفضل والبركات.

وأصلى وأسلم وأبارك على سيدنا محمد، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى أهل بيته الكرام الطيبين، وعلى زوجاته أمهات المؤمنين، وعلى أصحابه الغر الميامين، وعلى من سلك سبيل هؤلاء: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: ٨٢).

وبعد، فالمعروف أن كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة من الكتب الخطيرة الوافية الجليلة التى كتبها الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن فرح الأنصارى القرطبى، المتوفى فى سنة ٦٧١هـ.

وقد استنبطت منه كتابى الأول: (نعيم القبر وعذابه - والاستعداد للموت) وكان والحمد لله قد لاقى قبولاً من جماهير القراء، حتى طبع عدة مرات، فوجدت إتمامًا للفائدة

أن يكون هذا هو الكتاب الثانى: (يوم القيامة - ما لك وما عليك) يستعرض فيه القرطبى هذا اليوم كأنك تراه رأى العين.

فالسمعيات أو (الميتافيزيقا) أو ما وراء الطبيعة - كما يسميها الفلاسفة - من الأمور التى يهتم الناس بها، فجاء الإمام القرطبى عارضا لها من الكتاب الكريم والسنة المشرفة وأقوال الصحابة رضوان الله عليهم.

وسوف أقوم بعون الله بعرض الكتاب الأخير من هذه السلسلة المباركة بعنوان (الجنة دار المتقين - والنار مأوى الكافرين).

فما حرصت على اختيار هذه المجموعة إلا ابتغاء وجه الله ومنفعة إخوانى المسلمين، عسى أن ينجينى الله وإياهم من عذاب النار، وأن يدخلنا جنته دار الأبرار.

فاحرص أيها القارئ الكريم على تحصيل الحلقات الثلاث لهذه المجموعة المباركة حتى تنجو وتفوز بعون الله.

وأخيرًا أرجو من الله أن أكون وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(المحقق)

بسم الله الرحمن الرحيم

تمـــهيد

إذا مات الإنسان فقد قامت قيامته، ولكن قيامة الخلق كلهم تبدأ بنفخة الصعق.

وهـي النفـخة الأولى، هذه النفـخة التى يقـول فيـها الله جل جلاله:

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ (الزمر: ٦٨).

فـهيـا إلـى يوم القيـامة متحـصنين - إن شـاء الله - بالإيمان والإسلام - والقـول الطيب، والعمل الصـالح، بادئين بعون الله وقائع هذا اليوم بنفخة الصعق.

ندعو الله سبحانه وتعالى أن يعيننا على اجتيازه حتى نُساق زمرًا إلى الجنة، خالدين فيها ونعم أجر العاملين.



باب فى ذكر النفخ والصعق وما بين النفختين؟

روى مسلم عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج الدجال فى أمتى فيمكث أربعين - لا أدرى أربعين يومًا أو أربعين شهرًا أو أربعين عامًا - فيبعث الله تعالى عيسى ابن مريم، عليه السلام، كأنه عروة بن مسعود، فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله عز وجل ريحًا باردة من قِبل الشمال فلا يبقى على وجه الأرض أحد فى قلبه مثقال ذرة خير أو إيمان إلا قبضته، حتى إن أحدكم لو دخل فى كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه، فيبقى شرار الناس فى خفة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكرًا، فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: «فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم فى ذلك دارٌّ رزقهم، حسن عيشهم، ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى لَيْتًا ورفع ليتا» قال: «فأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله فيصعق ويصعق الناس» ثم قال: «يرسل الله، أو قال: ينزل الله مطرًا كأنه الطل فينبت منه أجساد الناس ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ (الزمر: ٨٦) ثم قال: يأيها الناس هلموا إلى ربكم: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ (الصافات: ٢٤) ثم يقال: أخرجوا بعث النار، فيقال: من كم؟ فيقال: من كل ألف

تسعمائة وتسعة وتسعين، قال: «فذلك يوم يجعل الولدان شيبًا وذلك يوم يُكشف عن ساق».

باب فى قول الله تعالى: ﴿ونفخ فى الصور﴾

﴿ونُفخ في الصُور فصعق من في السَموات ومن في الأرْضِ إلاَّ من شاء اللَّهُ﴾ (الزمر: ٦٨) وهم الملائكة أو الشهداء أو الأنبياء أو حملة العرش أو جبريل أو ميكائيل أو ملك الموت، وصعق: مات.

روى الأئمة عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل من اليهود بسوق المدينة: والذى اصطفى موسى على البشر، فرفع رجل من الأنصار يده فلطمه، قال: تقول هذا وفينا رسول الله ﷺ؟ فذكرت ذلك لرسول الله، فقال: قال الله عز وجل ﴿ونُفخ في الصُور فصعق من في السَموات ومن في الأرْضِ إلاَّ من شاء اللَّهُ ثُمَّ نفخ فيه أُخْرىٰ فإذا هُمْ قيامٌ ينظُرُونَ﴾ (الزمر: ٦٨) فأكون أول من رفع رأسه، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدرى أرفع رأسه قبلى، أو كان ممن استثنى الله».

باب يفنى العباد ويبقى المُلك لله وحده

روى البخارى ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك.. أين ملوك الأرض؟».

باب ذكر النفخ الثانى فى الصور.. البعث وبيانه وكيفية البعث وبيانه، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول من يحيا من الخلق، وبيان السن الذى يخرجون عليه من قبورهم، وفى لسانهم،

وبيان قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾.

قال الله عز وجل: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ (الأنعام: ٧٣) وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠١) وقال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ (الزمر: ٦٨).

وقال عكرمة: إن الذين يغرقون فى البحر تقتسم لحومهم الحيتان فلا يبقى منهم شىء إلا العظام فتلقيها الأمواج إلى الساحل فتمكث حينًا ثم تصير حائلة نخرة، ثم تمر بها الإبل فتأكلها، ثم تسير الإبل فتبعر، ثم يجئ قوم فينزلون فيأخذون ذلك البعر فيوقدونه، ثم تخمد تلك النار فيجئ الريح فيلقى ذلك الرماد على الأرض، فإذا جاءت النفخة ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ يخرج أولئك وأهل القبور سواء ﴿إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ أى نفخة واحدة ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ (يس: ٥٣).

قال علماؤنا رحمهم الله: فالنفخ فى الصور إنما هو

سبب لخروج أهل القبور وغيرهم، فيعيد الله الرفات من أبدان الأموات، ويجمع ما تفرق منها فى البحار وبطون السباع وغيرها، حتى تصير كهيئتها الأولى، ثم يجعل فيها الأرواح فيقوم الناس كلهم أحياء حتى السقط، فإن النبى ﷺ قال: «إن السقط ليظل محنبطئا على باب الجنة، ويقال له: ادخل الجنة، فيقول: لا، حتى يدخل أبواى» وهذا السقط هو الذى تم خلقه، ونفخ فيه الروح.

وخرج الختلى أبو القاسم إسحاق بن إبراهيم فى «كتاب الديباج» له حدثنى أبو بكر خليفة بن الحارث بن خليفة، حدثنا محمد بن جعفر المدائنى، عن سلام بن مسلم الطويل، عن عبد الحميد، عن نافع عن ابن عمر عن النبى ﷺ فى قوله عز وجل ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ (الانشقاق: ١، ٢).

وذكر أبو السرى هناد بن السرى التيمى الكوفى، قال: حدثنا أبو الأحوص عن منصور عن مجاهد عن عبد الرحمن ابن أبى عمرو قال: «ما من صباح إلا وملكان يقولان: يا طالب الخير أقبل، ويا طالب الشر أقصر، وملكان موكلان يقولان: اللهم أعط منفقًا خلفًا، وأعط ممسكا تلفًا، وملكان موكلان يقولان: سبحان الملك القدوس، وملكان موكلان بالصُّور».

فصل: واختُلف فى عدد النفخات: فقيل ثلاث: نفخة

الفزع لقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ (النمل: ٨٧) ونفخة الصعق، ونفخة البعث، لقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ (الزمر: ٦٨).

وقيل: هما نفختان، ونفخة الفزع هى نفخة الصعق، لأن الأمران لازمان له، أى فزعوا فزعًا ماتوا منه، والسُّنة الثابتة على ما تقدم من حديث أبى هريرة وحديث عبد الله ابن عمر وغيرهما يدل على أنهما نفختان لا ثلاث وهو الصحيح إن شاء الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ (الزمر: ٦٨) فاستثنى هنا كما استثنى فى نفخة الفزع فدل على أنهما واحدة.

وقد روى ابن المبارك عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «بين النفختين أربعون سنة، الأولى يميت الله تعالى بها كل حى، والأخرى يحيى الله بها كل ميت».

باب يبعث كل عبد على ما مات عليه

عن جابر بن عبد الله قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «يُبعث كل عبد على ما مات عليه» وعن عبد الله بن

عمر رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا أراد الله بقوم عذابًا أصاب العذاب من كان فيهم، ثم بُعثوا على نياتهم».

مالك: عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «والذى نفسى بيده لا يَكْلَمُ أحد فى سبيل الله – والله أعلم بمن يكلم فى سبيله – إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دمًا، اللون لون الدم، والعرف عرف المسك» خرجه البخارى ومسلم.

أبو داود: عن عبد الله: «إن قُتلت صابرًا محتسبًا بُعثت صابرًا محتسبًا، وإن قتلت مرائيًا مكاثرًا بعثت مرائيًا مكاثرًا، على أى حال قاتلت أو قُتلت بعثك الله بتلك الحال».

وروى أبو هدبة إبراهيم بن هدبة قال: حدثنا أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات سكران يبعث يوم القيامة سكران، ويعاين منكرًا ونكيرًا سكران، ويُبعث يوم القيامة سكران إلى خندق فى وسط جهنم يسمى السكران، فيه عين يجرى ماؤها دمًا، لا يكون له طعام ولا شراب إلا منه».

وروى مسلم عن ابن عباس أن رجلا كان مع رسول الله ﷺ مُحرمًا فوقصته ناقته فمات، فقال رسول الله ﷺ: «اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه فى ثوبه، ولا تمسوه بطيب، ولا تخمروا رأسه، فإنه يبعث يوم القيامة ملبيا» وفى رواية: «ملبدًا» أخرجه البخارى.

باب ما جاء أن العبد المؤمن إذا قام من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه فى الدنيا وعمله

من حديث جابر مرفوعًا: «فإذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات فأنشطا كتابًا معقودًا فى عنقه، ثم حضر معه واحد سائق والآخر شهيد» ذكره أبو نُعَيْم، وذكر أبو نعيم أيضًا عن ثابت البنانى أنه قرأ (سورة فصلت) حتى إذا بلغ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ (فصلت: ٣٠) وقف فقال: «بلغنا أن العبد المؤمن حين يُبعث من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه فى الدنيا فيقولان له: لا تخف ولا تحزن وأبشر بالجنة التى كنت تُوعَد، قال: فأمَّن الله خوفه، وأقرَّ الله عينه، فما عظيمة تغشى الناس يوم القيامة فالمؤمن في قرة عين لما هداه الله له، ولما كان يعمل له في الدنيا».

باب أين يكون الناس؟

﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾

مسلم: عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائمًا عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد.. وذكر الحديث وفيه: فقال اليهودى: أين يكون الناس ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْض

والسَّمـوَاتُ﴾ (إبراهيم: ٤٨) فـقـال رسـول الله ﷺ: «هـم فى الظلمة دون الجسر...» الحديث.

وخرج مسلم أيضًا وابن ماجه جميعًا قالا: سئل رسول الله ﷺ عن قـوله تعـالى: ﴿يوْمَ تُبـدَّلُ الأَرْضُ غـيْـرَ الأَرْضِ والسَّموَاتُ﴾ فأين يكون الناس يومئذ؟ قال: «على الصراط».

باب أمور تكون قبل الساعة

ذكرَ على بن معبد عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ ونحن فى طائفة من أصحابه فقال: «إن الله تعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور وأعطاه إسرافيل، فهو واضعه على فيه (فمه)، شاخص ببصره إلى العرش، ينتظر متى يؤمر» فقال أبو هريرة رضي الله عنه قلت: يا رسول الله، وما الصور؟ قال: «قرن» فقلت: وكيف هو؟ قال: «هو عظيم، والذى نفسى بيده إن عظم دارة فيه لعرض السماء والأرض، فينفخ فيه ثلاث نفخات: الأولى: نفخة الفزع، والثانية: نفخة الصعق، والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين، يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول: انفخ نفخة، فيفزع أهل السماء والأرض، إلا من شاء الله، ويأمره فيمدها ويديمها ويطولها» يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا يَنظُرُ هؤُلاءِ إلاَّ صَيْحَةً واحِدَةً مَّا لَها مِن فَوَاقٍ﴾ (ص: ١٥).

يقول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ (النازعات: ٦، ٨) فتكون الأرض كالسفينة فى البحر تضربها الأمواج فيميد الناس على ظهرها، وتذهل المراضع، وتضع الحوامل ما فى بطونها، وتشيب الولدان، وتتطاير الشياطين هاربة حتى تأتى الأقطار فتتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها، ويولى الناس مدبرين، ينادى بعضهم بعضًا، وهي التى يقول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (غافر: ٣٢، ٣٣) فبينما هم على ذلك إذ تصدعت الأرض من قطر إلى قطر، ورأوا أمرًا عظيمًا لم يروا مثله، فيأخذهم من ذلك الكرب والهول ما الله به عليم، ثم ينظرون إلى السماء فإذا هى كالمهل، ثم انشقت الأرض وانخسفت شمسها وقمرها وانتثرت نجومها، ثم كشطت السماء عنهم، ثم قال رسول الله ﷺ «والموتى لا يعلمون شيئًا من ذلك» قلت: يا رسول الله، فمن استثنى الله عز وجل حين يقول: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ (النمل: ٨٧) قال: «أولئك هم الشهداء عند ربهم يرزقون» إنما يصل الفزع إلى الأحياء، يقيهم الله شر ذلك اليوم ويؤمنهم منه، وهو عذاب يلقيه الله على شرار خلقه، وهو الذى يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ

عظيمٌ﴾ (الحج: ١) أى شديد، فتمكثون في ذلك ما شاء الله، إلا أنه يطول عليهم كأطول يوم، ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ نفخة الصعق».

الزلزلة يوم القيامة

فصل: فأما الزلزلة يوم القيامة قبل الحساب، فقد قال الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ وقال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ (الزلزلة: ١).

والذى ثبت بسياق الآيات أن هذه الزلزلة إنما تكون بعد إحياء الناس وبعثهم من قبورهم، لأنه لا يراد بها إلا إذعان الناس والتهويل، عليهم فينبغى أن يشاهدوها ليفزعوا منها ويهولهم أمرها، ولا تمكن المشاهدة منهم وهم أموات، ولأنه تعالى قال: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ (الزلزلة: ٤) أي تخبر عما عُمل عليها من خير وشر ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ (الزلزلة: ٦) فدل ذلك على أن هذه الزلزلة إنما تكون والناس أحياء واليوم يوم الجزاء وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (الحاقة: ١٣) يعنى الآخرة ﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ إلى قوله: ﴿لا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (الحاقة: ١٨) فدلت هذه السورة على أن اصطدام الأرض والجبال لا يكون إلا بعد الإحياء، ودلت هذه الآية على أن الكوائن إنما تكون بعد النشأة الثانية - والله أعلم.

باب الحشر ومعناه الجمع

وهو على أربعة أوجه: حشران فى الدنيا، وحشران فى الآخرة، أما اللذان فى الدنيا فقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ (الحشر: ٢).

قال الزهرى: كانوا (اليهود) من سبط لم يصبهم جلاء، وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلاء، فلولا ذلك لعذبهم فى الدنيا، وكان أول حشر حشروا فى الدنيا إلى الشام.

الثانى: ما رواه مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «يحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وتحشر بقيتهم النار، تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث أمسوا» أخرجه البخارى أيضًا.

والحشر الثالث: حشرهم إلى الموقف على ما يأتى بيانه فى الباب بعد هذا - إن شاء الله، قال الله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٧).

والرابع: حشرهم إلى الجنة والنار، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (مريم: ٨٥).

أى ركبانا على النجب وقيل على الأعمال كما تقدم.

﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ (مريم: ٨٦).

باب بيان الحشر إلى الموقف كيف هو وفى أرض المحشر وذكر الصخرة وقوله تعالى: ﴿واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب﴾

روى أبو نعيم عمن سمع وهب بن منبه يقول: قال الله تعالى لصخرة بيت المقدس: لأضعن عليك عرشى ولأحشرن عليك خلقى، وليأتينك يومئذ داود راكبًا.

وقال بعض العلماء فى قوله تعالى: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ (سورة ق: ٤١) قال: إنه ملك قائم على صخرة بيت المقدس فينادى: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، ويا عظامًا نخرة، ويا أكفانًا فانية، ويا قلوبًا خاوية، ويا أبدانًا فاسدة، ويا عيونًا سائلة، قوموا لعرض رب العالمين.

قال عكرمة: ينادى الرحمن فكأنما ينادى فى آذانهم ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ يريد النفخ فى الصور ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ (سورة ق: ٤٢) ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ إلى المنادى صاحب الصور إلى بيت المقدس أرض المحشر ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ (سورة ق: ٤٤).

روى مسلم عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «يُحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء

عفراء كقرصة النقى ليس فيها علم لأحد» وخرج أبو بكر أحمد بن على الخطيب عن عبد الله بن مسعود: يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط، وأظمأ ما كانوا قط، وأعرى ما كانوا قط، وأنصب (أتعب) ما كانوا، فمن أطعم لله أطعمه، ومن سقا لله سقاه، ومن كسا لله كساه، ومن عمل لله كفاه، ومن نصر لله أراحه الله فى ذلك اليوم.

باب ما جاء فى حشر الناس إلى الله عز وجل وفى أول من يكسا منهم وفى أول ما يتكلم من الإنسان

روى مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال: «أيها الناس، إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلا ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٤) ألا وإن أول الناس يُكسا يوم القيامة إبراهيم، عليه السلام، ألا وإنه يؤتى برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابى، فيقول: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (المائدة: ١١٧، ١١٨) قال: فيقال: إنهم لم يزالوا مدبرين مرتدين على أعقابهم مذ فارقتهم»..

باب قوله تعالى: ﴿لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾

روى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «تُحشرون حفاة عراة غرلا، فقالت امرأة: أيبصر بعضنا - أو يرى بعضنا عورة بعض - قال: يا فلانة، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه: قال: حديث حسن صحيح.

باب قول النبى ﷺ من سره أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ: إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت، وفى أسماء يوم القيامة

روى الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ و ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ و ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ قال: هذا حديث حسن.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما تكويرها إدخالها فى العرش، وقيل: ذهاب ضوئها.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ أى انتثرت، قيل: تتناثر من أيدى الملائكة لأنهم يموتون، وفى الخبر أنها معلقة بين السماء والأرض بسلاسل بأيدى الملائكة، وقال ابن عباس رضى الله عنهما انكدرت تغيرت.

وقوله: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ هو مثل قوله: ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ (الطور: ١٠) أى تحول عن منزلة الحجارة فتكون كثيبًا مهيلاً، أى: رملاً سائلاً، وتكون كالعهن (الصوف)، وتكون هباءً منبثا، وتكون مثل السراب الذى ليس بشىء.

وقوله: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ أى: أهلها فلم تحلب من الشغل بأنفسهم، والعشار: الإبل الحوامل.

وقوله: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ أى جُمعت.

وقوله: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ أى أوقدت وصارت نارًا.

وقوله: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ تفسير الحسن أن تلحق كل شيعة شيعتها، اليهود باليهود، والنصارى بالنصارى، والمجوس بالمجوس، وكل من كان يعبد من دون الله شيئًا يلحق بعضهم ببعض، والمنافقون بالمنافقين، والمؤمنون بالمؤمنين.

وقوله: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ يعنى بنات الجاهلية كانوا يدفنونهن أحياء.

وقوله: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ أى للحساب.

وقوله: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ قيل معناه طويت.

وقوله: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ أى أوقدت.

وقوله: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ أى قُرِّبت لأهلها وأدنيت

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ أى من عـملهـا، وهو مـثل قـوله تعـالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ (الانفطار: ٥) فهـو يوم الانشـــقاق ويــوم الانفطار ويـــوم التكـــوير ويـــوم الانكـــدار ويوم الانتثار ويوم التسيير، قال الله تعالى: ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ (الطور: ١٠) ويوم التعطيل ويوم التسجير ويوم التفجير ويوم الكشط والطى ويوم المد، لقــوله تعــالى: ﴿وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ﴾ (الانشقاق: ٣) إلى غير ذلك من أسماء القيامة.

وقيل، إن الله يبعث الأيام يوم القيامة على هيئتها فتوقف بين يدى الله تعالى ويوم الجمعة فيها زهراء مضيئة يعرفها الخلائق، فيوم القيامة يتضمن الأيام كلها، فسمى بكل حال يومًا فقيل: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ (طه: ١٠٢) ثم قيل: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ (القارعة: ٤) ثم قيل: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ (النبأ: ٤٠) فهذه حالة أخرى، ثم قيل: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ (الحاقة: ١٨) ثم قيل: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ (الزلزلة: ٦).

ومن أسماء هذا اليوم: الساعة، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ (الروم: ٥٥).

ومنهـا القيـامـة، قـال تعـالى: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ واختلف فى تسميتها بذلك على أربعة أقوال:

الأول: لوجود هذه الأمور فيها.

الثانى: لقيام الخلق من قبورهم إليها، قال الله تعالى: ﴿يوم يخرجون من الأجداث سراعا﴾ (المعارج: ٤٣).

الثالث: لقيام الناس لرب العالمين، كما روى مسلم عن ابن عمـر رضى الله عنهمـا عن النبى ﷺ قـال: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (المطففين: ٦) قـال: «يوم يقـوم أحـدكم فى رشحـه إلى نصف أذنيـه» قـال ابن عمـر رضى الله عنهمـا: «يقومون مائة سنة».

الرابع: لقيام الروح (وهو جبريل) والملائكة صفا، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا﴾ (النبأ: ٣٨).

ومنهـا يـوم النفـخـة، قـال الله تعـالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ (طه: ١٠٢) ومنها يوم الزلزلة، ويوم الراجفة، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۞ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ (النازعات: ٦، ٧) ومنها يوم الناقور لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ (المدثر: ٨) ومنهـا القـارعـة، سـميت بذلك لأنهـا تقـرع القلوب بأهوالهـا، ومنها يوم النشور وهو عبارة عن الإحياء يقال: قد أنشر الله

الموتى فنشروا أى أحياهم الله فحيوا، ومنها: يوم الخروج قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ (المعارج: ٤٣) ومنها يوم الحشر وهو عبارة عن الجمع، ومنها يوم العرض قال الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (الحاقة: ١٨).

احاديث فى كيفية الحساب وبعض أسماء يوم القيامة

الحديث الأول: صح من حديث عائشة رضى الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نوقش الحساب عُذب» قلت: يا رسول الله أليس الله يقول: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (الانشقاق: ٨) قال: «ليس ذلك الحساب، ذلك العرض».

الثانى: ثبت عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما واللفظ له «يؤتى بعبد يوم القيامة فيقال له: ألم أجعل لك سمعًا وبصرًا ومالاً وولدًا وتركتك ترأس وتربع، فكنت تظن أنك ملاقيَّ يومك هذا؟ فيقول: لا، فيقال له: اليوم أنساك كما نسيتنى» وهذا حديث صحيح.

قلت: خرجه مسلم والترمذى مطولا.

الثالث: ثبت من طرق صحاح أن النبى ﷺ قال: «يؤتى بالعبد يوم القيامة فيضع عليه كنفه فيقول له: عبدى، تذكر يوم كذا وكذا حين فعلت كذا وكذا، فلا يزال يقرره حتى يرى

أنه هلك، ثم يقول له: عبدى أنا سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم».

الرابع: وفى الصحيح عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يخرج من النار أربعة فيُعرضون على الله فيلتفت أحدهم فيقول: أى رب، إذا أخرجتنى منها فلا تُعدنى فيها، فينجيه الله منها».

ومن أسماء يوم القيامة: يوم الجمع، وحقيقته فى العربية ضم واحد إلى واحد فيكون شفعًا، أو زوجًا إلى زوج فيكون جمعًا، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ (التغابن: ٩) وقال: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (النساء: ٨٧).

ومنها: يوم التفرق، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ (الروم: ١٤ - ١٦).

ومنها: يوم الصدغ، والصدر أيضًا، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ (الزلزلة: ٦) وقال: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ (الروم: ٤٣) ومعناها معنى الاسم الذى قبله.

ومنها: يوم البعثرة، ومعناه تتبع الشىء المختلط مع غيره حتى يخلص منه فيخلص الله تعالى الأجسام من

التراب، والكافرين من المؤمنين والمنافقين، ثم يخلص المؤمنين من المنافقين.

ومنها: يوم الفزع، وحقيقته ضعف النفس على حمل المعانى الطارئة عليها خلاف العادة.

وفى التنزيل ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ﴾ (الأنبياء: ١٠٣).

ومنها: يوم التناد - بتخفيف الدال - من النداء وتشديدها من ندَّ إذا ذهب، وهو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ (غافر: ٣٣) وهو الذهاب فى غير قصد.

ومنها: يوم الدعاء، وهو النداء أيضًا.

والنداء على ثمانية وجوه كما ذكر ابن العربى.

الأول: نداء أهل الجنة أهل النار بالتقريع.

الثانى: نداء أهل النار لأهل الجنة بالاستغاثة، كما أخبر الله عنهم.

الثالث: يدعى كل أناس بإمامهم، وهو قوله: «لتتبع كل أمة ما كانت تعبد».

قال المؤلف: ويقال: بكتابهم، وقيل بنبيهم.

الرابع: نداء الملك ألا إن فلان ابن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدًا، وإن فلان ابن فلان قد شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدًا.

الخـامس: النداء عند ذبح الموت: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت.

السادس: نداء أهل النار: يا حسرتنا ويا ويلتنا.

السابع: قول الأشهاد: ﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين﴾ (هود: ١٨).

الثامن: نداء الله تعالى أهل الجنة فيقول: يا أهل الجنة، هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك، فيقول أعطيكم: أفضل من ذلك.. رضائى.

ومنها: يوم الواقعة.

ومنها: الخافضة الرافعة، أى: ترفع قومًا فى الجنة، وتخفض آخرين فى النار.

ومنها: يوم الحساب، ومعناه أن البارئ سبحانه يعدد على الخلق أعمالهم من إحسان وإساءة، ويعدد عليهم نعمه، ثم يقابل البعض بالبعض، فما يشف (يزيد) منها على الآخر حكم للمشفوف بحكمه الذى عينه للخير بالخير وللشر بالشر.

ويروى عن على بن أبى طالب رضي الله عنه وسئل عن محاسبة الخلق فقال: كما يرزقهم فى غداة واحدة كذلك يحاسبهم فى ساعة واحدة. ومنها: يوم السؤال، والبارئ سبحانه وتعالى يسأل الخلق فى الدنيا والآخرة تقريرًا لإقامة الحجة

ومنها: يوم الآزفة، تقول العرب: أزف كذا أى قرب.

ومنها: يوم المآب، ومعناه الرجوع إلى الله تعالى.

ومنها: يـــوم المصيـر، وهـــو يوم المآب بعــينه، قـال الله تعــالـى: ﴿ولِلَّــه مُلْكُ السَّمــوات والأرْضِ وإلَــى اللَّه الْمصيرُ﴾ (النور: ٤٢).

ومنها: يوم القضاء، وهو أيضًا يوم الحكم والفصل.

ومنهـا: يوم الوزن، قـال الله تعــالى: ﴿والْوزْنُ يوْمئـذٍ الْحقُّ﴾ (الأعراف: ٨).

ومنها: يوم عقيم: وهو فى اللغة عبارة عن من لا يكون له ولد، ولما لم يكن بعد ذلك اليوم يوم وصف بالعقيم.

ومنهـا: يوم عسـيـر: وهذا فى حق الكافـرين خـاصـة، والعسـر ضد اليسر، فهو عسير على الكافرين لأنهم لا يرون فـيـه أمـلا ولا يقطعـون فـيـه رجـاء، حـتى إذا خـرج المؤمــنون المذنبون من النار طلب الكفرة مثل ذلك فيقال لهم: ﴿اخْسئُوا فِيهَا ولا تُكلِّمُونِ﴾ (المؤمنون: ١٠٨).

ومنها: يوم مشهود، سمى بذلك لأنه يشهده كل مخلوق، وقيل: بذلك لأن الشهداء يشهدون فيه.

ومنها: يوم التغابن، سمى بذلك لأن الناس يتغابنون فى المنازل عند الله: فريق فى الجنة وفريق فى السـعيـر، قــال

الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ (الإسراء: ١٨) وقال: ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ (الشورى: ٢٠).

ومنها: يوم عبوس قمطرير: والقمطرير: الشديد، وقيل: الطويل، وأما العبوس فهو الذى يعبس فيه، سمى باسم ما يكون فيه، كما يقال: ليل قائم، ونهار صائم، وكلوح الوجه وعبوسه هو قبض ما بين العينين وتغير السحنة عن عادتها الطلقة.

ومنها: يوم تبلى السرائر، ومعناه إخراج المخبآت باختبار بوزن الأعمال فى الصحف.

ومنها: يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا، وهو مثل قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة: ٤٨).

ومنها: يوم يدعون إلى نار جهنم دعا، والدَّعُّ: الدفع أى: يُدفعون إلى جهنم ويُسحبون فيها على وجوههم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ (القمر: ٤٨).

ومنها: يوم التقلب، وهو التحول، قال الله تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾ (النور: ٣٧) أى: قلوب الكفار وأبصارهم، فتقلب قلوب الكفار انتزاعها من أماكنها

إلى الحناجر، فلا هى ترجع إلى أماكنها ولا هى تخرج، فأما تقلب الأبصار فالزرقة بعد الكحل، والعمى بعد البصر.

ومنها: يوم الشخوص، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾ (إبراهيم: ٤٢) أى لا تغمض فيه من هول ما ترى فى ذلك اليوم.

ومنها: ﴿هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ * وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ (المرسلات: ٣٥، ٣٦)

ومنها: ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ (غافر: ٥٢).

ومنها: يوم الفتنة، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ (الذاريات: ١٣) أى يعذبون.

ومنها: ﴿يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ (الروم: ٤٣) يريد يوم القيامة، أى لا يرده أحد بعد ما حكم الله به وجعل له أجلا ووقتا.

ومنها: يوم الغاشية، وسميت بذلك لأنها تغشى الناس بأفزاعها، أى تعميهم بذلك.

ومنها: يوم لا بيع فيه ولا خلال، قال الله تعالى: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ﴾ (إبراهيم: ٣١).

ومنها: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ (آل عمران: ١٠٦).

ومنهـــا: يـــوم الأذان، دخـــل طاوس على هشــام بن عبد الملك فقال له: اتق الله واحذر يوم الأذان، فقال: وما يوم الأذان؟ قـال: قـوله تعـالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (الأعراف: ٤٤).

ومنهـا: يوم الشـفـاعـة: قـال الله تعـالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

ومنها: يوم العرق، إذ يلجم العرق الكافر إلجامًا حتى منابت شعره (فى رأسه).

ومنهـا: يوم القلق والجـولان، وهو عـبـارة عن عـدم الاستقرار.

ومنها: يوم الفرار، قـال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ (عبس: ٣٤ - ٣٦).

باب ما يلقى الناس فى الموقف من الأهوال العظام الجسام

قـال المحاسبى فى (كتاب التوهم والأهوال): يحشـر الله الأمم من الإنس والجن عـراة أذلاء، قـد نزع الملك من ملوك الأرض الظالمين ولزمهم الصَّغار بعد عتوهم، والذلة بعد تجبرهم على عباد الله فى أرضه، ثم أقبلت الوحوش من أماكنها منكسة رءوسها بعد توحشها من الخلائق وانفرادها ذليلة من هول يوم النشور من غير ريبة ولا خطيئة أصابتها

حتى وقفت من وراء الخلق بالذلة والانكسار للملك الجبار، وأقبلت الشياطين بعد تمردها وعتوها خاضعة ذليلة للعرض على الملك الديان، حتى إذا تكاملت عدة أهل الأرض من إنسها وجنها وشياطينها ووحوشها وسباعها وأنعامها وهوامها تناثرت نجوم السماء من فوقهم، وطمت الشمس والقمر فأظلما عليهم، ومارت سماء الدنيا من فوقهم فدارت من فوقهم بعظمها فوق رءوسهم، وجميع ذلك بعينك وعين أهل الموقف ينظرون إلى هوله، ثم انشقت فوق رءوسهم وهى خمسمائة عام، فيا هول صوت انشقاقها فى سمعهم، وتمزقت وتفطرت لهول يوم القيامة من عظم يوم الطامة، ثم ذابت حتى صارت مثل الفضة المذابة، كما قال الجبار تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ (الرحمن: ٣٧) وقال: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ (المعارج: ٨، ٩) أى كالصوف المنفوش، وهو أضعف الصوف، وهبطت الملائكة من حافاتها إلى الأرض بالتقديس لربها فتوهم انحدارهم من السماء لعظم أجسامهم وكثرة أخطارهم وهول أصواتهم وشدة فرقهم من خوف ربهم فتوهم فزعك حينئذ وفزع الخلائق لنزولهم مخافة أن يكونوا قد أمروا بهم.

مسلم: عن سليم بن عامر عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه

قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم مقدار ميل» قال سليم بن عامر: فوالله ما أدرى ما يعنى الميل الذى تقاس به مسافة الأرض أو الميل الذى تكحل به العين (المردود)، قال: «فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه إلجامًا» قال: وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه (فمه)، وأخرجه الترمذى، وزاد بعد قوله: تكحل به العين «فتصهرهم الشمس».

باب ما ينجى من أهوال يوم القيامة ومن كربها

مسلم: عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من نَفَّسَ عن مسلم كربة من كرب الدنيا نَفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة..» وذكر الحديث.

وخرج الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول قال: حدثنا أبى رحمه الله قال: حدثنا عبد الله بن نافع قال: حدثنى ابن أبى فديك عن عبد الرحمن بن أبى عبد الله عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن فى مسجد المدينة فقال: «إنى رأيت البارحة عجبًا، رأيت رجلاً من أمتى جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرد عليه، ورأيت رجلاً من

أمتى قد بُسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك، ورأيت رجلاً من أمتى قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله فخلصه من بينهم، ورأيت رجلاً من أمتى قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم، ورأيت رجلاً من أمتى يلهث عطشًا، كلما ورد حوضًا مُنع منه فجاءه صيامه فسقاه وأرواه، ورأيت رجلاً من أمتى والنبيون قعود حلقًا، كلما دنا من حلقة طردوه فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده وأقعده بجنبى، ورأيت رجلاً من أمتى من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة فهو متحير فيها فجاءته حجته وعمرته فاستخرجتاه من الظلمة وأدخلتاه فى النور، ورأيت رجلاً من أمتى يكلم المؤمنين فلا يكلمونه فجاءته صلة الرحم فقالت: يا معشر المؤمنين كلموه فكلموه، ورأيت رجلاً من أمتى يتقى شرر النار ووهجها بيده عن وجهه فجاءته صدقته فصارت سترًا على وجهه وظلا على رأسه، ورأيت رجلاً من أمتى قد أخذته الزبانية من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة، ورأيت رجلاً من أمتى جاثيًا على ركبتيه، بينه وبين الله حجاب، فجاءه حسن خُلقه فأخذ بيده فأدخله على الله، ورأيت رجلاً من أمتى قد هوت صَحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من

الله تعالى فأخذ صحيفته فجعلها فى يمينه، ورأيت رجلاً من أمتى قد خف ميزانه فجاءته أفراطه (من مات صغيرا من أولاده) فثقلوا ميزانه، ورأيت رجلاً من أمتى قائمًا على شفير جهنم فجاءه وجله من الله فاستنقذه من ذلك ومضى، ورأيت رجلاً من أمتى هوى فى النار فجاءته دموعه التى بكى من خشية الله فى الدنيا فاستخرجته من النار، ورأيت رجلاً من أمتى قائمًا على الصراط يرعد كما ترعد السعفة فجاءه حسن ظنه بالله فسكن رعده ومضى، ورأيت رجلاً من أمتى على الصراط يزحف أحيانًا ويحبو أحيانًا فجاءته صلاته علىَّ فأخذت بيده وأقامته ومضى على الصراط، ورأيت رجلاً من أمتى انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة».

وقد ينجى منها كلها ما ثبت فى صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: «حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شىء إلا أنه كان يخالط الناس، وكان موسرًا فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال: قال الله عز وجل: أنا أحق بذلك منك، تجاوزوا عن عبدى».

وروى الأئمة عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل،

وشـاب نشـأ فى عـبـادة الله، ورجل قلبـه مـعلق بالمسـاجـد، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امـرأة ذات منصب وجـمـال فـقـال: إنى أخـاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه» معنى: «فى ظله» أى فى ظل عرشـه، وقد جاء هكذا فى تفسير الحديث، فحاول أخى المسلم وأختى المسلمة أن تكون واحدا منهم أو واحدة.

باب مما يكفر الذنوب

ذكر أبو نعيم الحافظ قال: قال رسـول الله ﷺ: «إن من الذنوب ذنوبًا لا يكفرها الصلاة ولا الصوم ولا الحج ولا العمـرة» قال: وما يكفرها يا رسـول الله؟ قال: «الهـموم فى طلب المعيشة».

باب فى الشفاعة العامة لنبينا محمد ﷺ لأهل المحشر

روى مـسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قـال: أتى النبى ﷺ يومًا بلحم فـرفع إليـه الذراع، وكـانت تعـجـبـه، فنهش منهـا نهشـة، فقال: «أنا سيد الناس يوم القيـامـة، وهل تدرون بم ذلك، يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد فيسمعهم الداعى، وينفذهم البصـر، وتدنو الشـمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول بعض الناس

لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه، ألا ترون ما قد بلغكم، ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: ائتوا آدم فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أبونا، أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهانى عن الشجرة فعصيته، نفسى نفسى، اذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى الأرض، وسماك الله عبدًا شكورًا، اشفع لنا إلى ربنا، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا، فيقول لهم نوح: إن ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لى دعوة دعوت بها على قومى، نفسى نفسى اذهبوا إلى إبراهيم.

فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم، أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وذكر كذباته[1]، نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى،

(١) قوله «إنى سقيم» وقوله عن الأصنام حينما كسرها ﴿اسألوا كبيرهم هذا..﴾ وقوله للجبار عن امرأته: إنها أختى، وكل ذلك في سبيل الله ومدافعة عن دين الله.

اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، فضَّلك الله برسالته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا، فيقول لهم موسى: إن ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنى قتلت نفسًا لم أومر بقتلها، نفسى نفسى، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى، أنت رسول الله وكلَّمت الناس فى المهد، وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا، فيقول لهم عيسى: إن ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبًا، نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى محمد ﷺ، فيأتون فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا، فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجدًا لربى، ثم يفتح الله علىَّ ويلهمنى من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه لأحد غيرى من قبلى، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسى فأقول: يا رب أمتى أمتى، فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من

لا حـسـاب عليـه من البـاب الأيمن من أبواب الجنـة، وهم شـركـاء الناس فـيـمـا سـوى ذلك من الأبواب، والذى نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى» وفى البخارى «كما بين مكة وحِمْيَر».

باب طبقات الناس فى الموقف

وذكر أيضًا أن الناس فى الموقف على طبقات مختلفة وأنواع متباينة بحسب جرائمهم، كمانع الزكاة، والغال، والغادر، على ما يأتى بيانه، وآخرون قد عظمت فروجهم وهى تسيل صديدًا يتأذى بنتنها جيرانهم، وآخرون قد صلبوا على جذوع النيران، وآخرون قد خرجت ألسنتهم على صدورهم أقبح ما يكون، وهؤلاء المذكورون هم الزناة واللوطية والكاذبون، وآخرون قد عظمت بطونهم كالجبال الرواسى، وهم آكلو الربا، وكل ذى ذنب قد بدا سوء ذنبه، قاله فى كتاب كشف علوم الآخرة، وذكر فى آخر الكتاب أن الرسل يوم القيامة على المنابر والأنبياء والعلماء على منابر صغار، ومنبر كل رسول على قدره، والعلماء العاملون على كراسى من نور، والشهداء والصالحون كقراء القرآن والمؤذنون على كثبان من مسك، وهذه الطائفة العاملة

آتنا بهذا وبارك لنا فى هذا حتى يأتيَهم ويقول: أبشروا، لكل مسلم مثل هذا، قال: وأما الكافر فيسود وجهه ويمد فى جسمه ستون ذراعًا على صورة آدم ويلبس تاجًا من نار، فيراه أصحابه فيقولون: نعوذ بالله من شر هذا، اللهم لا تأتنا بهذا، قال: فيأتيهم فيقولون: اللهم اخزه، فيقول: أبعدكم الله، فإن لكل رجل منكم مثل هذا.

فإن كان رجل رأسًا فى الخير يدعو إليه ويأمر به ويكثر تبعه عليه دعى باسمه واسم أبيه فيتقدم حتى إذا دنا أخرج له كتاب أبيض بخط أبيض فى باطنه السيئات وفى ظاهره الحسنات فيبدأ بالسيئات فيقرؤها فيشفق ويصفر وجهه ويتغير لونه، فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه: هذه سيئاتك وقد غُفرت لك، فيفرح عند ذلك فرحًا شديدًا، ثم يقلب كتابه فيقرأ حسناته فلا يزداد إلا فرحًا، حتى إذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه هذه حسناتك قد ضوعفت لك، فيبيض وجهه ويؤتى بتاج فيوضع على رأسه ويُكسا حلتيْن ويحلى كل مفصل فيه ويطول ستين ذراعًا، وهى قامة آدم، ويقال له: انطلق إلى أصحابك فبشرهم وأخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا، فإذا أدبر قال: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ (الحاقة: ١٩، ٢٠) قال الله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ (الحاقة: ٢١) أى مرضية قد رضيها ﴿في

جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ (الحاقة: ٢٢) فى السماء ﴿قُطُوفُهَا﴾ ثمارها وعناقيدها ﴿دَانِيَةٌ﴾ (الحاقة: ٢٣) أدنيت منهم، فيقول لأصحابه: هل تعرفوننى؟ فيقولون: قد غمرتك كرامة الله، من أنت؟ فيقول: أنا فلان ابن فلان، ليبشر كل رجل منكم بمثل هذا.

وإذا كان الرجل رأسًا فى الشر يدعو إليه ويأمر به فيكثر تبعه عليه نودى باسمه واسم أبيه، فيتقدم إلى حسابه فيخرج له كتاب أسود فى باطنه الحسنات وفى ظاهره السيئات فيبدأ بالحسنات فيقرؤها ويظن أنه سينجو، فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه: هذه حسناتك وقد رُدت عليك، فيسود وجهه ويعلوه الحزن ويقنط من الخير، ثم يقلب كتابه فيقرأ سيئاته فلا يزداد إلا حزنًا ولا يزداد وجهه إلا سوادًا، فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه: هذه سيئاتك وقد ضوعفت عليك، أى يضاعف عليه العذاب، ليس المعنى أنه يزاد عليه ما لم يعمل، قال: فينظر إلى النار وتزرق عيناه ويسوَدُّ وجهه ويكسا سرابيل من القطران، ويقال له: انطلق إلى أصحابك فأخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا فينطلق وهو يقول: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ (الحاقة: ٢٥ - ٢٧) وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فتخلع كتفه اليسرى فتجعل يده خلفه فيأخذ بها كتابه، وقال مجاهد: يحول وجهه فى موضع قفاه فيقرأ كتابه كذلك.

أصحاب الكراسى هم الذين يطلبون الشفاعة من آدم ونوح حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ، وذكر الفقيه أبو بكر بن برجان فى كتاب الإرشاد له: ويلهم رُءوس المحشر الطلب ممن يشفع لهم ويريحهم مما هم فيه، وهم رؤساء أتباع الرسل فيكون ذلك.

باب المقام المحمود لسيدنا رسول الله ﷺ

فصل: واختلف الناس فى المقام المحمود على خمسة أقوال: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (الإسراء: ٧٩).

الأول: أنه الشفاعة العامة للناس يوم القيامة، قاله حذيفة بن اليمان وابن عمر رضى الله عنهم.

الثانى: أنه إعطاؤه ﷺ لواء الحمد يوم القيامة.

قلت: وهذا القول لا تنافى بينه وبين الأول فإنه يكون بيده لواء الحمد ويشفع، وروى الترمذى عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أنا أول الناس خروجًا إذا بُعثوا، وأنا خطيبهم إذا وَفدوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد بيدى، فأنا أكرم ولد آدم على ربى ولا فخر» وفى رواية: «أنا أول الناس خروجًا إذا بُعثوا، وأنا قائدهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا أبلسوا، لواء الكرم بيدى، وأنا أكرم ولد آدم على ربى، يطوف علىَّ ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون».

الثالث: إخراجه طائفة من النار، روى مسلم عن يزيد الفقير قال: كنت قد شغفنى رأى من رأى الخوارج، فخرجنا فى عصابة ذوى عدد نريد الحج، ثم نخرج على الناس فمررنا على المدينة، فإذا جابر بن عبد الله رضى الله عنهما يحدث الناس أو القوم إلى سارية عن رسول الله ﷺ قال: وإذا هو قد ذكر الجهنميين قال: فقلت له: يا صاحب رسول الله، ما هذا الذى تحدثون، والله تعالى يقول: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ (آل عمران: ١٩٢) و ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ (السجدة: ٢٠) فما هذا الذى تقولون؟ فقال: أتقرأ القرآن؟ فقلت: نعم، فقال: فهل سمعت بمقام محمد ﷺ الذى يخرج الله به من يخرج.. وذكر الحديث.

باب من أسعد الناس بشفاعة النبى ﷺ

البخارى: عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه قال: قلت يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أولَ منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قِبَل نفسه».

باب ما جاء فى تطاير الصحف عند العرض والحساب وإعطاء الكتب باليمين والشمال وكيفية وقوفهم للحساب وما يقبل منهم من الأعمال وبيان قوله تعالى: ﴿يوم ندعو كل أناس بإمامهم﴾ وفى تعظيم خَلْق الإنسان الذى يدخل الناس به النار أو الجنان ومن نوقش الحساب عذب

روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قال: قال رسول الله ﷺ: «من حوسب يوم القيامة عُذِّب» قالت: فقلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (الانشقاق: ٧، ٨) فقال: «ليس ذلك الحساب، إنما ذلك العَرْض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب».

الترمذى: عن الحسن عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، فعند ذلك تطير الصحف فى الأيدى فآخذ بيمينه وآخذ بشماله».

أبو داود: عن عائشة رضى الله عنها قالت: ذكرت النار فبكيت، فقال رسول الله ﷺ: «ما يبكيك»؟ قلت: ذكرت النار

فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال: «أما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدًا: عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل، وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه فى يمينه أم شماله أو من وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهرى جهنم حتى يجوز».

وأسند عن سمرة بن عطية قال: يؤتى بالرجل يوم القيامة للحساب، وفى صحيفته أمثال الجبال من الحسنات، فيقول رب العزة تبارك وتعالى: صليت يوم كذا وكذا ليقال: فلان صلى، أنا الله لا إله إلا أنا، لى الدين الخالص، صمت يوم كذا وكذا ليقال: صام فلان، أنا الله لا إله إلا أنا، لى الدين الخالص، تصدقت يوم كذا وكذا ليقال: تصدق فلان، أنا الله لا إله إلا أنا، لى الدين الخالص، فما زال يمحى شىء بعد شىء حتى تبقى صحيفته ما فيها شىء، فيقول ملكاه: ألغير الله كنت تعمل؟!.

روى الترمذى عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ أن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ (الإسراء: ٧١) قال: يُدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه، ويمد له في جسمه ستون ذراعًا، ويبيض وجهه، ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ، فينطلق إلى أصحابه فيرونه من بُعد، فيقولون: اللهم

باب قوله تعالى:

﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه﴾

ابن المبارك: قال: قال عمر لكعب: ويحك يا كعب، حدثنا من حديث الآخرة، قال: نعم يا أمير المؤمنين، إذا كان يوم القيامة رفع اللوح المحفوظ فلم يبق أحد من الخلائق إلا وهو ينظر إلى عمله، قال: ثم يؤتى بالصحف التى فيها أعمال العباد فتنشر حول العرش وذلك قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ (الكهف: ٤٩).

باب ما يُسأل عنه العبد وكيفية السؤال

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾ (الإسراء: ٣٦) وقال: ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (يونس: ٢٣) وقال: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ (التغابن: ٧) أى ما عملتموه، وقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧، ٨) أى يُسأل عن ذلك ويجازَى عليه.

قال ابن مسعود: قال رسول الله ﷺ: « ما من عبد يخطو خطوة إلا سُئل عنها ما أراد بها».

وروى من حـديث على بن أبى طالب رضي الله عنه قـال: قـال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة خلا الله عز وجل بعبده المؤمن يوقفه على ذنوبه ذنبًا ذنبًا، ثم يغفر الله له، لا يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبى مرسل، وستر عليه من ذنوبه ما يكرهه أن يقف عليها، ثم يقول لسيئاته: كونى حسنات».

باب ما جاء أن الله تعالى يكلم العبد ليس بينه وبينه ترجمان

روى مسلم عن عدى بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظر أيسر منه فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة».

باب القصاص يوم القيامة ممن استطال فى حقوق الناس وفى حبسه لهم حتى يُنصفوا منه

روى البخارى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من كانت عنده مَظْلَمَةٌ لأخيه من عرضه أو شئ فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أُخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحُمل عليه».

باب فى إرضاء الله تعالى الخصوم يوم القيامة

روى القرطبى فى الأربعين وذكره ابن أبى الدنيا فى كتاب حسن الظن بالله تعالى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ ذات يوم جالس إذ رأيته ضحك حتى بدت ثناياه، فقيل له: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: «رجلان من أمتى جثيا بين يدى ربى عز وجل فقال أحدهما: يا رب، خذ لى مظلمتى من أخى، فقال الله تعالى أعط أخاك مظلمته، فقال: يا رب، ما بقى من حسناتى شىء، فقال: يا رب فليحمل من أوزارى» وفاضت عينا رسول الله ﷺ ثم قال «إن ذلك اليوم ليوم يحتاج فيه إلى أن تحمل عنهم أوزارهم، ثم قال الله تعالى للطالب حقه: ارفع بصرك فانظر إلى الجنان، فرفع بصره فرأى ما أعجبه من الخير والنعمة، فقال: لمن هذا يا رب؟ فقال: لمن أعطانى ثمنه، قال: ومن يملك ثمن ذاك؟ قال: أنت، قال: بم إذاً؟ قال: بعفوك عن أخيك، قال: يا رب فإنى قد عفوت عنه، قال: خذ بيد أخيك فأدخله الجنة» ثم قال رسول الله ﷺ: «فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، فإن الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة» فما أرحمك يا رب العباد!!.

باب أول من يحاسب: أمة محمد ﷺ

روى ابن ماجه عن ابن عباس رضى الله عنهما عن

النبى ﷺ قال: «نحن آخر الأمم وأول من يحاسب، يقال: أين الأمة الأمية ونبيها؟ فنحن الآخرون والأولون».

باب أول ما يحاسب عليه العبد من عمله: الصلاة وأول ما يقضى فيه بين الناس: الدماء

مسلم: عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء» أخرجه البخارى أيضًا والنسائى والترمذى وقال: هذا حديث حسن صحيح، وللنسائى أيضًا عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة، وأول ما يقضى بين الناس الدماء».

باب ما جاء فى شهادة أركان الكافر والمنافق عليهما ولقائهما الله عز وجل

قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (يس: ٦٥) وقال: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النور: ٢٤) وذكر أبو بكر بن أبى شيبة من حديث معاوية بن حيدة القرشى أن النبى ﷺ قال: «تجيئون يوم القيامة على أفواهكم الفدام (ما يسد به الفم) وأول ما يتكلم من الإنسان فخذه وكفه».

باب ما جاء فى شهادة الأرض والليالى والأيام
بما عمل فيها وعليها، وفى شهادة المال على صاحبه

الترمذى: عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ (الزلزلة: ٤) قال: أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، تقول: عمل يوم كذا، كذا وكذا.

وخرج مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ وفيه: «وإن هذا المال خضر حلو، ونعم صاحب المسلم هو لمن أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل، وإنه من يأخذه بغير حقه كالذى يأكل ولا يشبع ويكون عليه شهيدًا يوم القيامة».

باب ما جاء فى سؤال الأنبياء
وفى شهادة هذه الأمة للأنبياء على أممهم

خرَّج ابن ماجه، حدثنا أبو كريب وأحمد بن سنان قالا: حدثنا معاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يجىء النبى يوم القيامة ومعه الرجل، ويجىء النبى ومعه الرجلان، ويجىء النبى ومعه الثلاثة، وأكثر من ذلك فيقال له هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم، فيدعى قومه فيقال: هل بلغكم؟ فيقولون: لا، فيقال: من

يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فتدعى أمة محمد ﷺ فيقال: هل بلغ هذا؟ فيقولون: نعم، فيقول: وما علمكم بذلك؟ فيقولون: أخبرنا نبينا ﷺ بذلك أن الرسل قد بلغوا فصدقناه، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣).

باب ما جاء فى شهادة النبى ﷺ على أمته

ابن المبارك: أخبرنا رجل من الأنصار عن المنهال بن عمرو حدثنا أنه سمع سعيد بن المسيب يقول: ليس من يوم إلا تعرض على النبى ﷺ أمته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم، فلذلك يشهد عليهم يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (النساء: ٤١).

باب ما جاء فى عقوبة مانعى الزكاة

مسلم: عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جنبه وظهره، كلما بردت أعيدت له، فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى

سـبيله إما إلى الجنة وإمـا إلى النار» قـيل: يا رسـول الله، فالإبل، قال: «ولا صاحب إبل لا يؤدى منها حقها، ومن حقها حلبها يوم وردها (أى على الماء)، إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت، لا يفقد منها فصيلا واحدا، تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها» قيل: يا رسول الله، فالبقر والغنم، قال: «ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئًا ليس فيه عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء، تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها، كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها، فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العبادة، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار».

باب ذكر من يطرد عن الحوض

البخارى: عن أنس عن النبى ﷺ قال: «ليردنَّ علىَّ ناس من أصحابى الحوض حتى إذا عرفتهم اخلتجوا دونى، فأقول: أصحابى، فيقال لى: لا تدرى ما أحدثوا بعدك».

فصل: قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين: فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه، وأشدهم طردًا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم.

أبواب الميزان

باب ما جاء فى الميزان وأنه حق

قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ﴾ (الأنبياء:٤٧) وقال: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ (القارعة: ٦ - ٩).

قال العلماء: وإذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال لأن الوزن للجزاء فينبغى أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقدير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها، ليكون الجزاء بحسبها، قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾.

باب كيفية الميزان ووزن الأعمال فيه ومن قضى لأخيه حاجة

روى الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يستخلص رجلاً من أمتى على رءُوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من

باب ما جاء فى شعار المؤمنين على الصراط

الترمذى: عن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله ﷺ: «شعار المؤمنين على الصراط: رب سَلِّمْ سلم».

وفى صحيح مسلم: «ونبيكم ﷺ قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم».

باب فيمن لا يوقف على الصراط طرفة عين

ذكر الوائلى أبو نصر، عن أبى هريرة قال: قال لى رسول الله ﷺ: «علم الناس سنتى وإن كرهوا ذلك وإن أحببت أن لا توقف على الصراط طرفة عين حتى تدخل الجنة فلا تحدث فى دين الله حدثًا برأيك».

باب فى تلقى الملائكة للأنبياء وأممهم بعد الصراط وفى هلاك أعدائهم

ابن المبارك: عن عبد الله بن سلام قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأنبياء نبيا نبيا، وأمة أمة، حتى يكون آخرهم محمد وأمته، ويضرب الجسر على جهنم وينادى منادٍ: أين أحمد وأمته؟ فيقوم نبى الله ﷺ وتتبعه أمته، برها وفاجرها، حتى إذا كان على الصراط طمس الله أبصار أعدائه فتهافتوا فى النار يمينًا وشمالا ويمضى النبى ﷺ والصالحون معه فتتلقاهم الملائكة فيدلونهم على طريق

الجنة: على يمينك، على شمالك، حتى ينتهى إلى ربه فيوضع له كرسى من الجانب الآخرة، ثم يدعى نبى نبى وأمة أمة، حتى يكون آخرهم نوحًا، رحم الله نوحا.

باب ذكر الصراط الثانى

وهو القنطرة التى بين الجنة والنار

اعلم رحمك الله أن فى الآخرة صراطين: أحدهما مجاز لأهل المحشر كلهم، ثقيلهم وخفيفهم، إلا من دخل الجنة بغير حساب، أو من يلتقطه عنق النار، فإذا خلص من خلص من هذا الصراط الأكبر الذى ذكرناه، ولا يخلص منه إلا المؤمنون الذين علم الله منهم أن القصاص لا يستنفد حسناتهم حبوا على صراط آخر خاص لهم، ولا يرجع إلى النار من هؤلاء أحد إن شاء الله، لأنهم قد عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم الذى يسقط فيها من أوبقه ذنبه وأربى على الحسنات بالقصاص جرمه.

وقد صح عن النبى ﷺ أنه قال: «أصحاب الجنة محبوسون على قنطرة بين الجنة والنار يسألون عن فضول أموال كانت بأيديهم».

وبعد ذلك لم يبق إلا الجنة جعلنا الله من أهلها أو النار أجارنا الله منها فاطلب كتاب (الجنة دار المتقين والنار مأوى الكافرين) من مكتبة العلم الإسلامية.

هذا شيئًا، أظلمك كتبتى الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فقال: لا يا رب فيقول: بل لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: احضَرْ وزنك، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تُظلم، قال: فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شىء.

فصل: قال علماؤنا رحمهم الله: الناس فى الآخرة ثلاث طبقات: متقون لا كبائر لهم، ومخلطون وهم الذين يوافون بالفواحش والكبائر، والثالث الكفار.

فأما المتقون فإن حسناتهم توضع فى الكفة النيرة وصغائرهم إن كانت لهم فى الكفة الأخرى، فلا يجعل الله لتلك الصغائر وزنًا وتثقل الكفة النيرة حتى لا تبرح، وترتفع المظلمة ارتفاع الفارغ الخالى.

وأما المخلطون، فحسناتهم توضع فى الكفة النيرة وسيئاتهم فى الكفة المظلمة، فيكون لكبائرهم ثقل، فإن كانت الحسنات أثقل ولو بصؤابة (وزن بيضة القملة) دخل الجنة، وإن كانت السيئات أثقل ولو بصؤابة دخل النار، إلا أن يغفر

الله، وإن تساويا كان من أصحاب الأعراف، أما الكفار فلا يقام لهم يوم القيامة وزنًا، كما أخبر بذلك القرآن الكريم.

باب أصحاب الأعراف: من هم؟

وأما أصحاب الأعراف فيقال: إنهم مساكين أهل الجنة، ذكر عن عبد الله بن الحارث قال: أصحاب الأعراف ينتهى بهم إلى نهر يقال له: الحياة حافتاه قصب الذهب، قال: أراه قال: مكلل باللؤلؤ، فيغتسلون منه اغتسالة فيبدو فى نحورهم شامة بيضاء، ثم يعودون فيغتسلون، فكلما اغتسلوا زادت بياضًا، فيقال لهم: تمنوا، فيتمنون ما شاءوا، قال: فيقال لهم: لكم ما تمنيتم وسبعون ضعفًا، قالوا: فهم مساكين أهل الجنة.

واختلف العلماء فى تعيينهم على اثنى عشر قولا:

الأول: ما تقدم ذكره فى الحديث.

الثانى: قوم صالحون فقهاء علماء، قاله مجاهد.

الثالث: هم الشهداء، ذكره المهدوى.

الرابع: هم فضلاء المؤمنين والشهداء، فرغوا من شغل أنفسهم وتفرغوا لمطالعة أحوال الناس.

الخامس: هم المستشهدون فى سبيل الله الذين خرجوا عصاة لآبائهم، قاله شرحبيل بن سعد.

السادس: هم العباس وحمزة وعلى بن أبى طالب وجعفر، ذو الجناحين، يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسواد الوجوه، ذكره الثعلبى عن ابن عباس.

السابع: هم عدول القيامة الذين يشهدون على الناس بأعمالهم، وهم فى كل أمة، ذكره الزهراوى واختاره النحاس.

الثامن: هم قوم أنبياء، قاله الزجاج.

التاسع: هم قوم كانت لهم صغائر لم تكفر عنهم بالآلام والمصائب فى الدنيا فوقفوا، وليست لهم كبائر فيحبسون عن الجنة لينالهم بذلك غم، فيقع فى مقابلة صغائرهم.

العاشر: ذكره ابن وهب عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: أصحاب الأعراف الذين ذكر الله فى القرآن أصحاب الذنوب العظام من أهل القبلة (المسلمون).

الحادى عشر: أنهم أولاد الزنا، ذكره أبو نصر القشيرى عن ابن عباس رَضى الله عنهما.

الثانى عشر: أنهم ملائكة موكلون بهذا السور يميزون الكافرين من المؤمنين قبل إدخالهم الجنة والنار.

والأعراف: سور بين الجنة والنار، قيل: هو جبل أحد يوضع هناك.

باب كيف الجواز على الصراط وصفته ومن يحبس عليه ويزل عنه، وفى شفقة النبى ﷺ على أمته عند ذلك وفى ذكر القناطر قبله والسؤال عليها وبيان قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾

روى عن بعض أهل العلم أنه قال: لن يجوز أحد الصراط حتى يسأل فى سبع قناطر، فأما القنطرة الأولى: فيُسأل عن الإيمان بالله، وهى شهادة أن لا إله إلا الله، فإن جاء بها مخلصًا، والإخلاص قول وعمل، جاز، ثم يسأل على القنطرة الثانية عن الصلاة، فإن جاء بها تامة جاز، ثم يسأل على القنطرة الثالثة عن صوم شهر رمضان، فإن جاء بها تامة جاز، ثم يسأل على القنطرة الرابعة عن الزكاة، فإن جاء بها تامة جاز، ثم يسأل فى الخامسة عن الحج والعمرة، فإن جاء بهما تامين جاز، ثم يسأل فى القنطرة السابعة - وليس فى القناطر أصعب منها - فيسأل عن ظلامات الناس.

قال ﷺ: «وفى حافتى الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت بأخذه، فمخدوش ناج، ومكردس فى النار، والذى نفس محمد بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفاً».

فهرس الموضوعات